متفرقات (تابع)

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

٥

طالما تجادل الأدباء في تفضيل الشعر على النثر والنثر على الشعر ولكلّ في ذلك براهين وادلّة . وقد يؤخذ القارئ بهذه او بتلك ولربما حبذ الشعر في ظروف معينة والنثر في ظروف اخرى تهيب بالخطيب ان لا يقول الشعر .

هناك حساسيّة السامعين لا يستطيع الخطيب ان يتجاهلها اذ هي عنصر كبير في توجيه الكلام . أوَ يمكننا ان نعطي حكمًا اجماليًا على النثر والشعر بصورة وضعية دون عودة الى السامع وشعوره المرهف ؟ هذا ما سيقوله لنا المقطع التالي .

[٤] «في ترجيح النثر على الشعر»

«اعلم ان الشعر وان كان له فضيلة تخصه . ومزية لا يشارك بها غيره . من حيث تفرده باعتدال اقسامه . وتوازن اجزايه . وتساوي قوافيه مما لا يوجد في غيره من سايرِ انواع الكلام . مع طول بقايه على ممر الدهور وتعاقب الازمان . وتداوله على السنة الرواة وافواد النقلة لتمكن القوة الحافظة منه بارتباط اجزايه . وتعلق بعضها ببعض من شيوعه واستفاضته . وسرعة انتشاره وبعد سيره . وما يوثره من الرفعة والصنعة باعتبار المدح والهجاء . وانشاده بمجالس الملوك الحافلة . والمواكب الجامعة . في التقريض وذكر المفاخر وتعديد المحاسن وما يحصل عليه الشاعر المجيد من الجناء الجسيم . والمنح الفايق الذي يستحقه بحسن موقع كلامه من النفوس . وما يحدثه فيها من الاريحية . وقوله لما يرد عليه من الالحان المطربة المؤثرة في النفوس اللطيفة . والطباع الرقيقه . وما اشتمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الادبية وما يجري مجراها . وما يستدل به منها في تفسير الكتب المنزلة . وكلام من اوتي جوامع الكلام ومجامع الحكم . فان النثر ارفع درجة واعلا رتبة واشرف مقاماً . واحسن نظاماً . اذ الشعر محصور في وزنٍ وقافية يحتاج الشعر معهما الى زيادة الالفاظ والتقديم فيها والتأخير وقصر

المسدود وهو المقصور . وصرف ما لا ينصرف . ومنع ما ينصرف من الصرف . واستعمال الكلمة المرفوضة . وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها . وغير ذلك مما تلجئ اليه ضرورة الشعر [٥] فيكون معانيه تابعة لالفاظه والكلام المنثور لا يحتاج فيه الى شيء من ذلك فتكون الفاظه تابعة لمعانيه . ويؤيد ذلك انك اذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر الى النظم وجدته قد انحطت رتبته . الا ترى الى قول امير المؤمنين علي ابن ابي طالب . قيمة كل امرء ما يحسن . انه لما نقله الشاعر الى قوله

يا لائمي دعني اعاني بقيستي فقيمة كل الناس ما يحسنونه

قد زدت الفاظه ودهست طلاوته وان كان قد افاد المعنى في نصف بيت وانه قد احتاج في زيادته مثل الفاظه مرة اخرى ترضية له في صدر البيت ومراعاة لاقامة الوزن وزاد في قوله . فقيمة . مستكرهة ثقيلة . لا حاجة اليها . وابدل لفظ امرء بلفظ الناس . ولا شك ان لفظ امرء هو اعذب والطف . وغيّر قوله يحسن الى قوله يحسنونه . والجمع بين نونين ليس بينهما الا حرف ساكن غير معتد به مستوخم . واذا اعتبرت ما نقل من معاني النظم الى النثر وجدته قد نقص الفاظه وزاد حسناً ورونقاً . الا ترى الى قول المتنبي يصف بلداً قد علقت القتلى على اسوارها . شعر

وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمايم

كيف نثره الوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله يصف بلداً بالوصف المتقدم . وكانما كان بها جنون فبعث لها من عزايمه عزايم . وعلّق عليها من رؤس القتلى تمايم . فانه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصاً مع التورية الواقعة في ذكر العزايم . [٦] مع ذكر الجنون . وهذا في النظم والنثر الفايقين ولا عبرة بما عداهما . وناهيك بالنثر فضيلة ان الله انزل به كتابه العزيز ونوره المبين . وان مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الامور المستحيلة والصفات المجاوزة للحد . والنعوت الخارجة عن العادة . وقذف المحصنات . وشهادة الزور . وقول البهتان . وسب الاعراض . وغير ذلك ما يجب التنزه عنه . وما احسن ما جاء به النثر من الخطب والترسل وكلاهما شريف الموضوع حسن التعلق اذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه . والتذكير . والترغيب في الاخرة . والتزهيد في الدنيا . والحض على طلب الثواب . والامر بالصلاح والاصلاح والحث على التعاضد والتعاطف . ورفض التباغض والتقاطع وطاعة الايمة . وصلة الرحم . ورعاية الذمم . وغير ذلك مما يجري مجراه مما هو مستحسن

شرعاً وعقلاً . وحسبك رتبة قام بها الانبياء والخلفاء الراشدون . والترسل في مصالح الامة . وقوام الرعية كما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك ومراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحال . وبيعات الخلفاء وعهودهم وما يصدر عنهم من عهود الملوك . وما يلتحق بذلك من ولايات ارباب السيوف والاقلام الذين هم ارباب الدول وقواعدها الى غير ذلك من المصالح التي لا يكاد تدخل تحت الاحصاء ولا يأخذها الحصر » .

٦

ان أنس المجالس يتطلب الادب والأدب عنوان عن جملة صفات يتحلى بها الأديب من لطف وكياسة وفطرة واعية وعلم وثقافة وتفتح واسع وعمق حكم على ما يروي وينسرد . وفي المقاطع التالية شيء مما يدلنا على ذلك .

«ان اصل اداب الكاتب التي ترجع اليه وينبوعها التي تفجرت [٧] منه رسالة عبد الحميد الكاتب الى الكتاب يوصيهم فيها وهي : »

«اما بعد حفظكم الله عز وجل يا اهل صناعة الكتابة . وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله جعل الناس بعد الانبياء . وبعد الملوك اخياراً وان كانوا في الحقيقة سواء في صروف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معايشهم . وابواب ارزاقهم . فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والرواية بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها . وبنصايحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلادهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون . وابصارهم التي بها يبصرون . والسنتهم التي بها ينطقون . وايديهم التي بها يبطشون . فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم . ولا نزع عنكم ما افاضه من النعمة عليكم . وليس احد احوج الى اجتماع الخير المحمودة . وخصال الفضل المعدودة . منكم ايها الكتاب . اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صنعتكم . فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحلم . فهيماً في موضع الحكم . ومقداماً في موضع الاقدام . ومحجماً في موضع الاحجام . موثراً العفاف والعدل والانصاف . كتوماً للاسرار . وفياً عند الشدايد . عالماً بما يأتي من النوازل ويضع الامور مواضعها والطوارق اماكنها . قد نظر في كل فن من فنون العلوم فاحكمه . فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به بغزارة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما يرد[٨] عليه قبل وروده . وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره . فيعد لكل امرء عدته وعتاده . ويعي لكل

وحيه هيبته (هيئته) وعادته . فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الاداب . وتفقهوا في الدين وابدوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرايض ثم العربية فانها تثقف السنتكم . ثم احيدوا الخط فانه حلية كتبكم . واروموا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها . فان ذلك معين لكم على ما تسمو همكم . ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودنيّها وسفاف الامور ومحاقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب . ونزّهوا صناعتكم عن الدناآت . واربؤا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل الخيالات . واياكم والكبر والسخف والعظمة . فانها عداوة محيلة من غير احنة وتحاشوا الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق بأهل الفضل وتحدث والس من سلفكم وان بد الزمان رحل سكم فاعظم عنه مواسوه حتى يرجع الى حاله ويؤب الى مدة . وان قعد احدكم الكبر عن مكسه والقنا (التي) اخوته فزودوه وعظموه وشاوروه . واستصغروا بفضل تجربته وقدم معرفته . وليكن الرجل منكم على ما اصطنعه واستظهر به ليوم حاجته اليه احفظ منه على ولده واخيه . فان عرضت في الشغل محمدة فلا يضعها الا على صاحبه . وان عرضت مذمة فليحملها هو من دونه . وليحذر السقطة والذلة والملل عند تغيير الحال . فان [٩] العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه إلى الغرّاء . وهو لكم افسد منه لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه الرجل يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يفتقد له وفايه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته . وكتمان سره وتدبير امره . ويصدق بفعاله ذلك عند الحاجة اليه . والاضطرار الى ما لديه . فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمؤاساة والاحسان والسرّاء والضرّاء . فنعمة الشيمة هذه لمن وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة . واذا اولى الرجل منكم او صُيّر اليه امر خلق الله وعياله امر فليراقب ربه عز وجل وليؤثر طاعته . وليكن على الضعيف رفيقاً . وللمظلوم منصفاً . فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم لعياله . ثم ليكن بالعدل حاكماً . وللاشراف مكرماً . (+) موفرًا . وللبلاد عامرًا . وللرعية متالفاً . وعن ادابهم متخلفاً . وليكن في مجلسه متواضعاً حليمًا . وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقاً . واذا صحب احدكم رجلاً فليختبر خلايقه . فاذا عرف حسنها وقبحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال لصرفه عما يهواه من القبيح . فالطف حيلة واجمل وسيله . وقد علمتم ان مايس البهيمة اذا كان بصيرًا بسياستها التمس معرفة اخلاقها . وان كانت رموحاً لم يهجها اذا ركبها . وان كانت شبوباً انقاها من قبل بدنها

وان خاف منها شروداً توقاها من ناحية راسها . وان كانت حروناً قمع برفق هواها في طريقها . [١٠] فان طلبت عطفهـا يسيراً فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف من السياسة دلايل لمن ساس الناس وعاملهم . وخدمهم . وداخلهم . والكاتب يفضل ادبه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يجاوره من الناس ويناظره وينهم عنه او يخاف سطوته . اولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم اوده من سايس البهيمة التي لا تجيز جواباً . ولا تعرف صواباً . ولا تفهم خطاباً . الاّ بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها الا فامعنوا النظر رحمكم الله واعملوا فيه ما امكنكم من الروية والفكر . تآمنوا باذن الله فمن صحبتموه الينوة والاستئناس والجفوة ويصير منكم الى الموافقة . وتصيروا منه الى المواخاة والشفقة ان شاء الله تعالى . ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة (هيئة) مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وثيابه وخدمه . وغير ذلك من فنون امره . قدر حقه . فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا يحتمل معكم افعال التضييع والتبذير . واستعينوا على عفافكم بالقصد في كلما ذكرته لكم وقصصته عليكم . واحذروا متالف السرف . وسوء عاقبة الترف . فانهما يعقبان الفقر . ويذلان الرقاب . ويفضحان انهلهما ولا سيما الكتّاب . وارباب الاداب . وللامور اشباه . وبعضها دليل على بعض . فاستدلوا على موتنف اعمالكم . ما سبقت اليه تجربتكم . ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة . واحمدها عاقبة . واعلموا[١١] ان للتدبير آفة متلفة . وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته . فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه . وليوخر في ابتدايه وجوابه . وليأخذ بمجامع حججه . فان ذلك مصالحة لنعله . ومدفعة التشاغل عن اكثاره . وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله واديه . فانه ان ظن منكم ظان او قال قايل ان الذي برز من جميل صنعته . وقوة حركته . انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره . فقد يعرض بظنه أو مقالته الى ان يَكِلَهُ الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف . وذلك على من تأملهُ غير خافٍ . ولا يقل احدكم منكم انه ابصركم بالامور . واحمل لعبء التدبير من مرافقه في صناعته . ومصاحبه في خدمته . فان اعقل الرجلين عند ذوي الالباب من رمى بالعجب وراء ظهره . ورأى ان صاحبه اعقل منه واحمد في طريقه . وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اعتزاز برايه . ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبـه . وحمد الله واجب على الجميع

وذلك بالتواضع لعصمته . وانتدلل لعزته . والتحدث بنعمته .

في معرفة اسم ديوان الانشاء

اما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتّاب وهو بكسر الدال . قال الجواليقي في صناعة الكتّاب وفتح الدال خطأ . قال واصله دوّان . فابدلت احدى الواوين من ياء فقيل ديوان وجمع على دواوين [١٢] واختلف في اصله فذهب قوم الى انه عربي . قال الجواليقي والمعروف في لغة العرب ان الديوان الاصل الذي يرجع ويعمل مما فيه . ومنه قول ابن عباس اذا سألتموني عن شيء من غريب القرآن والتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب ويقال دوّنت كذا اذا كتبته . والبه تميل كلام سيبويه وذهب آخرون الى انه عجمي وهو قول الاصمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه فقال الديوان فارسي معرب . وقد حكى ان الماوردي في الاحكام السلطانية في سبب تسميته بذلك وجهين احدهما ان كسرى ذات يوم اطلع على كتّاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون فقال ديوانه اي مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم . ولزمه من حينئذ . ثم حذفت الهاء من اخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقيل دوان . وعليه اقتصر ابو جعفر النحاس في صنعة الكتّاب . والثاني ان الديوان بالفرسية اسم للشياطين . وسُمي الكتّاب بذلك لحذقهم بالامور . ووقوفهم على الجلي منها والخفي .

نوابغ الكلم للعلامة الزمخشري

اللهم ان مما منحتني من النعم السوابغ . الهام هذه الكلم النوابغ . ناطقة بكل زاجرة وموعظة . حائمة على كل عبرة موقظة . فخذ بايدينا الى كسب ما تحب وترضى . ووفقنا لمداواة القلوب المرضى . انك اقرب قريب . واجوب مجيب .

السنة منهاجي ومنهاجي . عيني تقرّ بكم عند تقربكم . المرء يقدم ثم يحجم . والنوء ينجم ثم ينجم . حبذا الوادق اذا رعد . والصادق [١٣] اذا وعد . الوقية . والكلاب السلوقية . الاب اعرف واشرف . والام أرأف وأراف . الكريم ينشى بارقة مطلة . ولا يرسل صاعقة مطلة . ارضى الناس بالخسار . بايع الدين بالدينار . حقد الاحن . حصد المحن . الأمين آمن . والخاين خاين . عيش المجاهد جهيد . ورزق الزاهد زهيد . متى اصبح وامسي . ويومي خير من امسي . قد جمع المتقون في ظلال وسرور . والمجرمون في ضلال وسقر . ليس من الشرف والكرم . عادة الثره والعرم . الليالي ما خلدن لذاتك . افتخارهن

محلداتك . العربان غربان . والسودان سيدان . اذا قلّت الابصار . كلّت الابصار . العمل مع فساد الاعتقاد . مثبه في التراب والرماد . من كانت نعمته واصبه . كانت طاعته واجبه . رب صدقة من بين فكيك . خير من صدقة من باطن كفيك . لا تمس بالريبة مهيباً . ولا تنس ان عليك مهيباً . صنوان من مسخ سايله ومنّ . ومن منع نايله وضنّ . عضدك بالملامة واعظوك . لو عن رقاد الغفلة ايقظوك . من لم يقوم التأنيب لم يقوم التأديب . ان جحجم الباطل فانت اسمع من اسمع . وان همهم الحق فكانك بلا سمع . خيم التقصّ طنبيه . وسافر الفضل والجد حنبيه . رب قولٍ اوردك مورد القتال . او ردّك مورد القذال . فرب موهبة . لسرء مذهبه . لاتبادر بادى الراي . وانتظر البادي بعد لاي . من صدقت قطاته ، قت سقطاته . ما لنفس مسلمه . وصفة مسيلمه اكرم حديث [١٤] اخيك بانصافك . وصمه من وصمة التفاتك . هذه طرايق ما فيها رايق . وحلايق عبرها بك لايق . محب المعصية يقصّ بالندامة . وجناح الطاعة يوصل بالادامة . وجد قريناً يناصحه . فصنه قريناً يناطحه . ما منع قول الناصح ان يروقك وهو الذي ينصح خروقك . الكتاب الكتاب . اذا اردت العتاب . فان العتاب مسافهة . متى كانت مشافهة . العلم جبل صعب المصعد . ولكنه سهل المنحدر . والجهل منهل سهل المورد . الاّ انه صعب المصدر . لن يسود النقار . ما اسود القار . استند واستفد . عند يمين من يمين . يزداد الكذوب اليقين . كانوا ياخذون رجال الفضل بزلاتهم الدنانير . حتى فضلوا عليهم الكلاب والسنانير . لحم الحر ياكله اهل الحسد . كما يأكل النمر ولد الاسد . الشريف من اذا غيب عنه غيب . واذا ايب اليه هيب . من اكثر من سبحانْ . فهو ابلغ من سبحان . كيف يثنى عطف المرح الفخار . من اصله من صلصال كالفخار . لا خير في جود المطّال . وان كان كالجود الحطال . لا خير فيمن اذا وعد تعرقب . واذا عزم تعقرب . اذا كثر الطاغون . ارسل الله الطاعون . ما استبان قوم بالدين الاّ حاق بهم الهوان . ونقاهم الزمان . كما ينقى الزوان . ربّ تكليم بالمعقل . اشد من تكليم في المقصل . ربّ كلمة عند الناس فصيحة . وهي عند الله فضيحة . اقل من افسج . اكثر هذه المهج . يا طالب المتاع . طال بك الرضاع . فتى القطام . احذر لا ينبذنك في الحطمة هذا الحطام . لو لم يتق في[١٥] ذمتك سوى دينار . لا تامن ان يطرحك في وادي النار . طهرت فاك بمساويك . لولا نجسته بمساويك . لا تقع الاعمال سيئة . ما لم تقع سيئة . طوبى لمن كان خاتمة عمره كفاتحته . وليست الاعمال بفاضحته . المستبين بدين الله يزيد . على ما فعل

معاويه ويزيد . اطلب وجه الله فيما انت صانع . والاّ فعملك كله ضايع . عول في السباق على دينك . تسبق في جميع ميادينك . كم قذف الموت في هوة . من جمجمة مزهوة . النسا متى عرفن قلبك بالغرام . انصفن انفك بالرغام . متيك في التيه الخبزلى . وقولك ان سُيلت الحبزلا . الاحمق لا يجد لذة الحكمة . كما لا ينتفع بالورد صاحب النهكة . ما للناس بلا خير جمال . وبالخير في الناس مجال . عليك بالعمل دون التمني . واياك والعجل دون التأني . شقشقة هدرة من عجلان كشقشقة عرقتها من حبان . امارة ادبار الامارة . كثرت الربا وقلة العمارة . اياك والامارة . فانها للدمار امارة . وللبلاد ابارة . المبالغة في التدبير . معالبة في التقادير . دابة السوء اذا رحت مرحت . واذا مرحت رحت . الاّ ان فواة الوفاة على الحر اشدّ من الوهدة . الا حبركم في العسر الوبارة تعس بلاها الله بالوبارة . كل وزير مؤسي الاّ وزير موسى . النعمة اليسيرة ينال بها الابهام . وجمع الكف على قصرة ابهام . خف على الصدر السري . من ذوي القدر الرزي . ايها الحول القلب امن جبلتك . ان تجمع المال لبعل حليلتك . في الارض ناس ونويّس . منهم طاووس وطويّس . [١٦] ملاك حسن السمت . ايثار طوال الصمت . اكثر الناس عن الحق زور . ودعواهم باطلة وزور . اذا جن اخوك مخلف على اسمه . وتحرز عن كيده وطلسمه . لا خير في الزمان . ما طلع المرزمان . من لم يثق الحوب . لم تتق له الحوبا . راقب القابض الباسط . وكن المتسط لا القاسط . كم احدث الزمان باك امرًا امرًا . كما لم يزل يضرب زيد وعمرًا . اذا لم تكن ذا عرين اشمّ . كنت لريح الذلّ اشم . عمل فيه رياء . ما فيه ضياء . رب ذورة زاير . اشد من زائرة زائر . زأرة الاسد في الزارة . اهون من زورة بعض الزاره . الناس اكثرهم اغمار . وان تنشت بهم الاعمار . يا ذا الكبر انت بما هو بالعبد اجدر . وان كنت اعز من الكبريت الاحمر . تظر اليك السبعون وانت سبع . تضيع في الدنيا كانك في ثلث ضبع . اذا حصلتك ياقوت . هان عليّ الدرّ والياقوت . ما الثمر اليانع تحت خضرة الورق . باحسن من الخط الرايق في بياض الورق . لا ينشب ظفر الليث في الفريسة . ما دام رابضاً في العريسه . ترك ما لا يتقى عليه وارثه . وتبقى عليه كوارثه . اذا حاز الرجل ما فات . لم يتأسف على ما فات . لا تجعل صندوق السر . الاّ صدر صدور حر . الشرايع بمسايلها . والشرايع بمسايلها . شتان فلان كالباقر . وفلان من الباقر . وقع الباروخ على اليافوخ . اهون من ولاية بعض الفروخ . الصناع جماهر . وقل من هو ماهر . لا يزالون يركبون خطاياهم . كانها على الصراط مطاياهم . الخالي من الدين الخالص . واذا قيل ذو المناقب ذو المناقص .

[١٧] لياليك مدمسات يرينك . بعض ما تهوى ثم يرينك . لا بد للمسعل من قراب . وللمخلب من قناب . لا شرو من سباع في قناص . ومن جنات في رياض . احذر مؤمناً يعذرك . ولا يذر مؤمناً يذعرك . عليك بمن ينذر الابسال والابلاس . واياك من لاتأس ولا باس . القِ عليك طسرية المشيب . وعليك من الحرص رداءً قشيب . تقول انا صايم . وانت في لحم اخيك سايم . غض العدو افعالك . اشد من عض الافعى لك . ويل لكل ريس . من عذاب بيس . المومن للمومن طبع سلس . وهو على الفاسق جامح شرس . صنع العرض مكان القرض . فهو اروح للقلب واسلم للعرض . احسن من الملامه لبوس السلامه . من رفض هذا اللبوس . لم يلق غير البوس . افتخار الذمي بشرف الآل . كاغترار الظمان بلمع الآل . مما لكم تجسحون في الحكم باحكمه . اما تقرعكم من الحكمة حكمة . ان واليت قرين السوء اعداك بدايه . فكل من اعدايه تبعٌ من اعدايه . اقرب شيء عند الله من العسر يسران . واقرب منها عند صاحبه النسران . فرقك بين الرطب والعجم . هو الفرق بين العرب والعجم . يا دنيا تحلّين لاولادك ثم تمرين . وتحلين بهم ثم تمرين . ان الذي سخر الفلك في الماء هو الذي سيّر الفلك في السماء . اذا وقعت المحنة تواكلتم . واذا كانت النعمة تأكلتم . طاء اعقاب العالمين . تطاء ارقاب الجاهلين . لا ترض لمجالستك . الا لاهل مجانستك . رب زاير يراوحك . ويغاديك . وهو ممن يكادحك ويعاديك . وجه بلا حياء عود قشر ليطه . او سراج فتى سليطه . كفاك عبرة صُدّر فلان . ثم [١٨] صودر . واستوسر فلان بعدما استوزر . صدور الاكام وهبوط القبطان خير من الصعود بين الحيطان . المؤمن لا يدر على العصاب . وان مُني بالصعاب . صاحب القمر يغتنم القمر . ومحب السر لا يبالي من السهر . الفرس لا بدّ له من سوط . وان كان بعيد الشوط . كم رأيت من اعرج في درج المعالي اعرج . وكم من صحيح القدم . ليس له في الخير قدم . ان صح الرصح العلن . وان لم يصح فلم ولنْ . من ارسل نفسه مع الهوى . فقد هوى في ابعد الهُوَى . ان لم تملك فضل لسانك . ملّكت الشيطان فضل عنانك . لا ترض عن نفسك تملكها . والالم تملكها . حسن سجية المرء ان يسجي معايب اخيه . وان يعتد بمساويه في جملة مساعيه . خذ بما هو لدينك وعرضك اصون . ولا تأخذ بما هو عليك ادون . اللئيم ملوم بكل لسان . والكريم مكرّم في كل مكان . قرنت المسرّة والمساءة . بالمبرة والاساءة . اذا سمعت بالمناديب فاحضر . واذا دُعيت الى المآدب فاحذر . المرض والحاجة خطبان . امرٌ من تقيع الخطبان . من تنازحت امواله . تزاحت احواله . كل

طريقه لم يقومها حجه . فتلك طريقه معوجّه . التاجر مجده في كيسه والعالم مجده في كراريسه . من احطاته المناقب . لم تنفعه المناسب . انتم كبات وودان يتمرغ في انتن المسك . ويقلن مـا اطيب ريح المسك . المودة والاحاد . حال الشدة دون الرخاء . ما العتيق الماثور . باقطع من الحديث المشهور . من قرع باب اللئيم . قلع ناب الكريم . ويـل للمساكين من المساكين . مـا ذو همة مشمعلّة . كمن يتثبت بكل علة . من اعظم انعمة صحة [١٩] الابدان . وهي علة التسوف والمعصيان . يا انسان عـادتك السيان اذكر الناس ناسي وارق القلوب قاسي . قد آمن الحرمان من سال الرحمن . بئس الحارس . واكثرهم الخاس شيان شيان في الاسلاء . الرشدة وشجاعة في حكمه . فالق لحب والنوى . حاذق حب والنوى ما قرع السفيه بمثل الاعراض . وما اطلق عنانه مثل العراض طعم الالا احلى من المن . وهو امر من اللالا مع المن . ما ملأ البيادر الاّ البذور . وما ملأ البدر الاّ الشذور . الاسراف اتراف . والاسلاف اتلاف . افلس القوم افلسهم . وافلسهم افشلهم . اصحاب السلطان اعظمهم خطرًا . وابعد الناس مرق في الجبل اشدهم حذرًا . شيّع الحسنة بحسن الجزاء . فما احسن الشعرى خلف الجوزاء .. لا تصلح الامور الاّ باولى الالباب . والارجاء لا تدور الاّ على الاقطاب . الداين والمديون مدبران . ولا خير في وال الدبران . سورة السفيه يكسره الحلما . والنار المضطرمة يطفيها الماء . رب زيادة هي نقصان فايدة . والكف تنقصها الاصبع الزايدة . لا بد مع ذا من ذيّا . والدبران تلوّ الثريا . رب مستفت اعلم من مفتي . واللتيا اكبر من التي . قد يصحب الجاهل اولى النهى . والفراقدّ معها السهى . يد البخيل لا تبض حتى تسلق بالمقول . ولا تستخرج ما في الجبل الاّ بالضرب بالمعول . لا تبلغ سوقه ثناء وملك . ولا يجري كوكب جرى فلك . الرجل يترك يرّادانيه . وهو الى الاباعد يحن . والنعامة تهجر بيضها وبيض اخرى تحضن . مثـل الحصن البصري مثل الحجاج . [٢٠] واللؤلؤ يخرج من الماء الاجاج . ولد الشريف اولى بالشرف . والدر اغلى من الصدف . لا غرو ان يرتفع اولو الجهل وينحط العالم . فقد يتدلى سهيل ويستقل النعايم . زينة الارض بالعلماء . وبالكواكب زينة السماء . شعاع الشمس لا يخفى . وسراج الحق لا يُخمَد ولا يُطفَى . سوف ينفعك ما انت معط . وان دُفعت الى ذياب معط . العلم درس وتلقين . لا حراس وتلقين . كم لا يَد في الركاب . من ايادي فيّ الرقاب . ان البراطيل . تنصر الاباطيل . من منى بالرهب . منى بالحرب . ثقل الصخرة من القنُن . اهون من حمل المنّن . اكثر

الناس الى الملك تلفتاً . اقلهم من العلك تفلتاً . اهل الحرب والجدل . بين الحرب والجذل . اتم الاوداء والاغراء . ما لم يتسبكم المراء . الفلاحة بالفلاح مصحوبة . والبركة على اهله ماء مصبوبة . المرء عنوان امره . عنفوان عمره . ما من داب في الادب ابدا . كمن بدا فيه وشدا . من عرف المعارف . عرّف المراعف . كُن صاحب قران . ولا تكن صاحب قران . كل قريب لك عليه رقيب . يودّ ان تُخبَر عما قريب . ولذلك يقول مالك ارثى . واخوك يقول مالك ارثى . اهيب السحيق . وان كان منك في البلد السحيق . لا مسك ولا اناب . اطيب من نسك من اناب . ما مسك دارين . اطيب من نسك دارين . لا يعبأ المومن بشغب كل منافق . فكم من عير شاهق . عند صلِ شاهق . بذر في مطمورة . بر في مطمورة . اصحاب الاطهار يلزمون صحاب الامطار . الدنيا مملوءة عبرًا . متحوزة عيرًا .

[٢١] ومن محاسن الكلام

من جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه . ويهين نفسه في اكرام دنياه . وهو من هواه في ضلال . ومن دنياه في زوال . ايام الدهر في ثلاثة . يوم يمضي لا يعود اليك . ويوم انت فيه لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله وما اهله . فتعنّ عن امسك الماضي . وتزود من يومك الفاني . لغدك الآتي . كل يوم يشوق الى غده . وكل امرء ماخوذ بجناية لسانه . خير عملك ما استصلحت به يومك . وشره ما استفسدت به قومك . الحذر خير من الحدر . لان الحذر يضعف الحجة . والحدر يتلف المحجة . اياك والحدر فان بكثرة الكلام يزل اللسان . وتمل الاخوان . فاقلل المقال . وتوق الامال . من افرط في المقال زل . ومن استخف بالرجال ذل . من قل من كلامٌ بطن عيبه . ومن كثر احترامه حسن غيبه . فاقتصر من كلامك على اليسير . وجد في احترامك عن التقصير . تستر عنك العيوب . وتجتمع على محبتك القلوب . من قل توقيه . كثرت مساويه . ومن حسنت مساعيه . طابت مراعيه . من حسن الاختيار . الاحسان الى الاخيار . ما عز منْ ذل جيرانه . وما سعد من شقي اخوانه . اذا شرف الخلق . لطف النطق . من اعز فلسه . اذل نفسه . حسن اللقاء . يولد حسن الاصغاء . من كرم حلم . من لطف شرف . عادة الكفران تقطع مادة الاحسان . من لم يشكر الاحسان . لم يعدم الحرمان . جهل يضعف حجتك . [٢٢] خير من علم يتلف مهجتك . فتحصن بالجهل اذا نفع . كما تتحصن بالعلم اذا نفع . من قال بما لا ينبغي . سمع ما لا يشتهي . قصّر

كلامك تسلم . واطل احتشامك تكرم . من قال بلا احترام . اجيب بلا احتشام . من انكر الخطاب . انكر الجواب . من لم يحمل قيلا . لم يسمع جميلاً . فلا تقولن ما يسرك جوابه . ويضرك معابه . لكل قول جواب . ولكل فعل ثواب . فلا تقولن مرًا . ولا تفعلن شرًا . ولا تعودن نفسك الا ما يكتب لك اجره . ويحسن عنك نشره . لا تحاج سلطانك . ولا تلاحِ اخوانك . فمن حاج سلطانه قُهر . ومن لاحى اخوانه هُجر . اعقل لسانك الا عن حق توضحه . او باطل تدحضه . او حكمة تنشرها . او نعمة تشكرها . واياك وما توحش به حرًا . وتطلب به عذرًا . فمن اوحش الاحرار . زهد في عشرته . ومن اكثر الاعتذار شك في عذرته افضل اساس من بنى عن قدرة . وتواضع عن رفعة

قال معاوية : شر الزمان من يعاد اويخاف . ومن وضعناه تتبع

شعر :

قـــابلت جهلهم حلماً ومغفرةً والعفو عن قدرة ضرب من الكرم

اربع لا يفي بها الا رجل حاذق . عمل السلطان . واتخاذ القيان . ومواصلة الدعوات . واقامة المروات . عجبت لمن يرجو من فوقه كيف من دونه . لا يحسن للصدر . الاّ وسع الصدر . ثلاثة تدلّ على عقول اربابها . الكتاب والرسول . والهدية . وجدت بغداد في البلاد . كالاستاذ في العباد .

[٢٣] ومن باب الحكم النافعة والالفاظ الجامعة

نسيان البر . يودي الى حط الشكر . من منع بره . طوى شكره . لا تسئ الى من احسن اليك . ولا تعن على من انعم عليك . من اساء الى المحسن منع الاحسان . ومن اعان على المنعم سلب الامكان . من جحد النعمى . فقد الحسنى . ما اقبح منع الاحسان . مع حسن الامكان . اذا اذنبت فاعتذر . واذا اذنب اليك فاغتفر . فالمعذرة بيان العقل . والمغفرة بيان الفضل . حسن النية اتم برّ والطف . وكرم السجيّة اعظم فخر واشرف . من غرس شجرة الحلم . اجتنى ثمرة العلم .

نبذة من فصول ابي الفتح البستي

من اصلح فاسده . ارغم حاسده . من اطاع غضبه . اضاع ادبه . عادات السادات . سادات العادات . من سعادة جدك . وقوفك عند حدك . افحش الاضاعة . الاذاعة . الخيبة . تهتك الحيبة . والدعة . رايد الصنعة . من لم يكن لك

نسياً . فلا ترج منه نصيباً . الرشوة رشا الحاجة . اشتغل عن لذاتك . بعمارة ذاتك . اجهل الناس من كان للاخوان مذلا . وعلى السلطان مدلا . حبيبك لا يعيبك . الاثار السنة الاقدار . اذا بقي ما فاتك . فلا تبأس على ما فاتك . الدنيا فنا الغنا . البشر عنوان الكرم . ربما كانت الفطنة فتنة . والمهنة محنة . من حصن اطرافه . حسن اوصافه . من تبرج بره . تأرج ذكره . من كان عبد الحق فهو حر . المرء يهدم المروءة . التهم شجاع العقل . [٢٤] رضى المرء عن نفسه . دليل تخلفه ونقصه . الحدة والندامة . فرسا رهان . والجرد والشجاعة . شريكا عنان . والتواني والخيبة رضيعا لبان . الجود وضع الموجود . بموضع الجود . نعم الشفيع الى عدوك عقله . لا تغتر بصحة مزاجك في الهوى الوبي ولا تغتر بحدة بصرك في الظلمة الراكدة . افراط العاقل تساقل الحدة تريك صورة الجهل . رب مقال لا يقال . احسن الاخلاق . انفس الاعلاق . المرء من غرر الايام في غرر . ومن صفوها في كدر . افضح النصيحة عدم القريحة . الحلم مطية وطية . لكل غلو سلو . يوشك ان يقصر من يغلو . ويسفل من يعلو . كيف القرار على الشرار . المنية . تضحك على الامنية . مسلك الحزن حزن . ضيّق الصدر . من صغر القدر . احسن الجنة . لزوم السنّة . الرد الخايل . خير من الوعد الحايل . الخلاف غلاف الشر . من كان رأيه صحيحاً . لم يكن بميسور البر شحيحاً . نعم العدة . طول المدة . عسى ان تحظى في غدك . برغدك . زمام العمل . بيد الامل . البرايا . اهداف البلايا . طلوع العقوق . افول الحقوق . حد العفاف . الرضى بالكفاف . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك . من يذينك . الخرق . آفة الخلق . افراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم الصرعة . ذو السرعة . القلقة قل السفه . لكل حادث حديث . ربما اغنت المداراة . عن المباراة . البشر نوعاً لا يحاب . العقل جهبذ النقل . ما كل خاطر بقاطر . البخل سوس السياسة . [٢٦] العفو يطمس الهفو . التبذل . تبذّل . العفيف يكفيه اللطيف . ثقل العفيف . خفيف . لسان النصيح . فصيح . اوهى المصايب . المعايب . ربما تشور من تهور . افراط الدماثة غثاثة . افراط الفخامة . وخامة . رب مغبوط معبوط . افراط الثانّي توانٍ . لا ضايع بين الصناعة . والقناعة . الانصاف احسن الاوصاف . عليك بالحذر من الحذر . ربما تكون المنية . منية . معنى المعاشرة ترك المعاسرة . ما خرق الرقيع مرقع . ربما تكون العناية جناية . من افرط اورط . رب مورد مورّط . ورب مصعد هو مهبط . قدر الامين ثمين . من قصّر امله . طهّر حمله . الغريب زنـد

العداوة . الشكر جنة التارس . والصبر جنة الآيس . التصلف ترجمان تحاتف . كفى بالسبي دهياً . وبالهدى هادياً . من تعقل تنطل . ضل الخطا يكسف شمس الوفاء من لزم الادب . أمن العطب . قوتك قرتك . البيان علم العلم . ليكن اقدامك توكلاً . واحجامك تأملاً . احوان هذا الزمان حوان . الناس عبيد الخواطر . الغيث لايخلو من العيث . بلاذ طبع . غير ضع . وقريحة عير قريحة . وحيم غير وخيم . باع فلان الباسقات . واشترى الناسفات .

من كلام سقراط

الفاضل من قدر على الاساءة فكف . وعلى الخطية فعف واراد تلميذه سفرا . فقال له وصني . فقال سيء الناس من تعرفه وكن ممن لا تعرفه على حذر . وياك والوحدة . وكن كاحد تاعك . وايساك والضجر وسوء الخلق . واذا نزلت منزلا فلا [٢٦] تمش حسافياً بليل . ولا تذق شيئاً لا تعرفه . ولا تغتنم مخاوف الطرقات لقربها . وعليك بامنها . ولو بعدت عليك . وقال : لا ترون على ذي خطاء خطاءه . فانه يستفيد منك علماً وتصير له عدواً . وقال : الزمان يحذر من نفسه ويخبرك بسوء غايلته . وانه لموكل بتكدير الصفو . وتشتيت الجمع . وانه لواعظ لمن بقي بمن مضى . ومن كانت الايام به سايرة . لا شك ان اعضاد بالية . ومنهجته عن الدنيا راحلة . وقال : النميمة تهدي الى القلوب البغضه . ومن واجهك فقد شتمك . ومن نقل اليك فقد نقل عنك . وقال : كفى بالتجارب تأدباً . وبتقلب الايام موعظة .

ومن كلام افلاطون

سل القلوب عن المودة . فانها لا تقبل الرشاء . وقال : بحب الدنيا صحة الاسماع عن الحكمة . وعميت القلوب عن نور البصيرة . قيل له ما العدل . قال : ترك الهوى واتباع الهدى . قيل فما الشرف . قال : احتمال المكاره . والصبر في العظايم . قيل فما الكرم . قال تأدية الحقوق . ومراعاة الصديق الصدوق . قيل : فما اللؤم . قال : طلب اليسير . ومنع الحقير . قيل : فما العز . قال : كثرة المال . والاكتفاء على كل حال . قيل : فما الذل . قال : شدة الافلاس . والانكسار عند الناس . قيل : فما الحلم . قال : العفو عند القدرة والرضى بعد

١٧٨٧—١٨٤٥

السخط . قيل . فما الخرق . قال : سرعة الوثبة والعجلة قبل الفرصة . قيل : فما العقل . قال : سرعة الفهم وقلة الوهم . قيل : فما الجهل . قال : الطيش عند الغضب . [٢٧] والحقد عند السخط . قيل : فما الشجاعة . قال : العزم على التقدم . والثبت قبل التندم . قيل : فما الجبن . قال : الظن بالحياة . والحرص في النجاة . قيل : فما الرفق . قال : درك الكثير . بالشيء اليسير . قيل : فما الحمق . قال : مكايدة السلطان . ومتابعة الشيطان . قيل : فما السؤدد . قال : بذل الندى . وكف الاذى . قيل : فما القناعة . قال : الصحبة بالعفاف . والرضى بالكفاف . قيل : من السعيد . قال : من اعتبر بأمسه . واستظهر لنفسه . قيل : من التقي . قال . من جمع لغيره وبخل على نفسه . قيل فمن الحازم قال : من حفظ ما في يده ولم يأخر شغل يومه لغده

قال في كتاب السياسة

ان استطعت ان تعاشر الآ عالماً او صانعاً فافعل . فان العالم مرتاض بخدمة العلم . والصانع بملازمة الصناعة . ولسعيهما جميعاً نظام . والبطال انما يصرفك مع خاطره . فليس تنتهي معه الى امر محدود . وقال اخس النفوس نفس صبرت على الاستضامة للمدة . وقال من ضعف عن كتمان سره . لم يقو بشيء من امره . وقال انبساطك عورة من عوراتك . فلا تبذله الآ لمأمون عليه وحقيق به . وقال اذا قلت حجتك في المناظرة على كريم اكرمك ووقرك واذا قلت على خسيس عاداك واعادها لك . وقال اموات الاحياء اربعة . السقيم في بدنه . والمشرد عن وطنه . والناظر الى مال غيره . والمقدم عليه ممن هو دونه . وقال الحكيم الغنا الاكبر في ثلاثة اشياء . نفس عالمة تستعين بها على دينك . وبدن [٢٨] صابر تستعين به على طاعة ربك . وتتزود به لمعادك وليوم فقرك . وقناعة بما رزق الله بالياس . عما في ايدي الناس . وقال آخر : ثلاثة لا يصطلح فسادهن بشيء من الجبل . العداوة بين الاقارب . ومحاسد الاكفاء . والركاكة في الملوك . وثلاثة لا يشبع منهن . العافية والمال والحياة . وقال آخر : ثلث هن سرور الدنيا وثلاث غمها . فاما السرور فالرضى بالقسم . والعمل طمعاً في النعيم . ونفي الاهتمام برزق غد . واما الغم فحرص مسرف وسوال ملحف . وتمني ملهف . وقال آخر . ثلاثة لا تدرك بثلاثة . الغنى بالمنى . والشباب بالخضاب . والصحة بالادوية وطيب الطعام في جوف المريض . قال سقراط : ما رفع احد فوق منزلته الآ قسد . الا تنظر الى دودة الخل اذا طرحتها في العسل

كيف تموت اجتمع حكيم الروم وحكيم الهند وحكيم الفرس . فتذاكروا شر الأشياء . فقال الرومي : همالم يقترن به العدم . وقال الهندي : سقم البدن ودواه الحزن . قال الفارسي : دنو الاجل وسوء العمل . فحكم له . قال بعضهم : كم مرغوب فيه يسوء ولا يسر . ومرغوب منه ينفع ولا يضر . لا تقطع قريباً وان كثر . ولا تأمن عدواً وان شكر . اشد الغصص . فوت الفرص . من غالب من فوقه غلب وتأخر . ومن غالب من دونه حقر . الدنيا لا تصفو لشارب . ولا تفي لصاحب . الدنيا تقبل اقبال الطالب . وتدبر ادبار الهارب . اقلها خديعة . وادبارها فجيعة . ولذاتها فانية . وتبعاتها باقية . من اعجبته اراؤه . غلبته اعدائه [٢٩] ومن استعبى بعقله ضل . ومن اكتفى برأيه زل . وقال عبد الله بن المعتز : الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان وانس بن ... الصبح بن الملا تقريع متواضع من طلاب العلم كثير علمه كما ان مستحصد من الارض كثر ما ... زيادة العلم . نقص الكلام نعم الجهل . كرياض الربى . استتبع جناح الطالب . الامال لا تنتهي . واحي لا يكتفي . المرض حبس البدن . والهم حبس الروح . المعرفة بالفضيلة عليك . فضيلة منك . قلوب الاحرار . حصون الاسرار . اهل الدنيا . كصور في صحيفة لا ينشر بعضها الا اذا طوى بعض . من لم يتعرض للتوايب . تعرضت له . افتقر الولد او عاداك . من تكلف ما لا يعنيه . فاته ما يعنيه . النار ما ينقصها ما أخذ منها . ولكن يخمدها اذا لم تجد حطباً . وكذلك العلم لا ينته الاقتباس منه ولكن فقد الجاهلين سبب عدم . قال بعض الاطباء : عليك بثلاثة . واجتنب ثلاثة . عليك بالرسم والحلوى والحمام . واجتنب الدخان والغبار والغيظ . قال غيره : قليل الراح صديق الروح وكثيرها عدو الجسم . وقال غيره : لا تجالس الثقلاء فان مجالسة الثقلاء تحمى الروح . الشرب على الجوع دوى . والاكل على الشبع ادوى منه . وقال : شرب الرحيق على الريق حريق . وقال غيره : اربعة تضر في البصر . وتعود على المرء بالضرر . النظر الى عين الشمس . والى القتلى والجرحى والنظر الى وجه العدو . وقال غيره : راحة الجسم في قلة الطعام . وراحة النفس في قلة الآثام . وراحة القلب في[٣٠] قلة الاهتمام . وراحة اللسان في قلة الكلام . وقال غيره : من لم يبتهج بالربيع ولم يتمتع بنسيمه ولم يتروح بنواره وازهاره . فهو فاسد المزاج . يحتاج الى العلاج . وقال بعض البلغاء : العلم شجرة ثمرتها المعاني . والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . وخير الكلام ما كان لفظه فحلاً . ومعناه بكراً . وقال غيره : الخط في الابصار سواد . وفي البصاير بياض . وقال لصديق له : اتخذ صنعة تغني لك اذا خانك الاخوان .

غيره : الاصدقاء كالنار . قليلها متاع . وكثيرها بوار . قال غيره : الزمان صروف تحول . وامور تجول . والشكر ركاة النعمى . والوفاء معه صلاح العقبى . قال غيره : العلايق هي العوايق عن الحقايق . وقال : في وصف شيخ هرم : قد اخذ من عقله كما اخذ من جسمه . ونعم الرفيق الترفيق . قال غيره : الكريم من اكرم الاحرار . والكبير من صغّر الدينار . وسبيل الانسان في الاحسان . سبيل الاشجار في الثمار . وقال الكلب يزمن حين يسمن . ولا يتبع حين يشبع . وعند الجوع يهمّ بالرجوع . وقال : الخبر اذا تواتر في النقل . قبله العقل . وقال ما كل نابع ماء . ولا كل سقف سماء . وقال: سم المرسم في الشهد . والشمس تقبح في عين الرمد . ومن لم يجد الحسيم . رعى الهشيم . ورسوم الكرام دبرن . وقال في وصف خيل ما هو الاّ صوف الكلب . ومخ الدر ولبن الطير .

وقال بعض الحكماء في وصف اللسان

الكلام حدّ الانسان الحي الناطق . والصمت منام . والنطق يقظة . وقال : الكلام قاضٍ يحكم بين الخصوم . وضياء يجلو الظلم . [٣١] حاجة الناس الى موادّه كحاجتهم الى مواد الاغذية . وقال لاحد الناس ان حدّ الانسان انه ناطق . فمن كانت رتبته في النطق ابلغ . كان بالانسان اخلق . وقيل لبعض الحكماء ايما افضل الصمت والنطق . فقال ان الله بعث انبيايه بالنطق لبيان الحجة وانك تمدح الصمت بالنطق . ولا تمدح النطق بالصمت . وما عبرت به عن شيء فهو افضل منه . وقيل لآخر . الصمت خير ام الكلام . فقال : لعن الله المساكتة فما افسدها اللسان . واجلبها للعي . وقال : الصمت مفتاح السلامة . الاّ انه قفل الحمق . وقال : اللسان عضو ان مرنته مرن . وان تركته حرن . وقال : اللسان اذا كثرت حركته . كثرت عثوبته . كالرجل اذا عُوّدت للمشي مشت . وقال : ما الانسان . لولا اللسان . الا صورة ممثلة . او بهيمة مهملة . وقال بعض العلماء : مغرس الانسان القلب . وزراعه الفكر . وقيّمه العقل . وزهره الاعراب . وثمره الصواب . وجانيه اللسان . ومما شرف به الانسان من خصايص الاحسان . ان الله رفع قدره على سايرالاعضاء . فانطقه بتوحيده والهمه بتمجيده . وقال : اللسان جوهر الانسان .

ومن خصايصه انه اداة يظهر بها البيان . وظاهره يخبر عما بطن في الجنان . وحاكم يفصل الخطاب . وناطق يرد الجواب . وواصف تُعرّف به الاشياء .

وواعظ ينهى عن المحشاء . وشاهد يسأل عن الغايب . وشافع تدرك به المطالب . وموثق يلبي الخواطر . ومؤنس يزيل وحشة النافر . [٣٢] ومن تسكن به علة الجليل . ومزين يدعو الى الجميل . وزارع ينبت الوداد . وحاصد يذهب الشحناين والاحقاد .

قال الشاعر :

خلق اللسان لطلقه وكلامه ... لا للسكوت وذاك خط الافرس
فاذا نطقت فكن مجيباً سايلاً ... ان الكلام يزين رب المجلس

غيره

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ومما قيل في وصف الادب

الادب نوعان : نفسي وكسبي : فالنفسي ما كان من محاسن الافعال . الدالة على كرم الطباع . والكسبي ما استفادته النفس من احاسن الاقوال . الاخذة باعنة القلوب والاسماع . وهو الذي ترجمت عنه في هذا الموضع . ليقع ذكره في النفوس احسن موقع . قال بعضهم : الرجل بلا ادب . شخص بغير اله . وجسد بلا روح . وقال : الادب شرف لا ينطبع الا في مثله . وقال : الادب يرفع العبد المملوك . حتى يجالسه في مجالس الملوك . وقال بعضهم لبنيه : تأدبوا فان كنتم ملوكاً برزتم . وان كنتم اواسطاً فقتم . وان اعوزكم المعاش عشتم . استفيدوا من الادب ولو كلمة واحدة . وقال : تعلموا الادب فانه زيادة في الفضل . ودلالة على العقل . وصاحب في الغربة . وانيس في الوحدة . وجمال في المحفل . وسبب الى درك الحاجة . وقال : والله لن اموت طالباً للادب . خير لي من ان اعيش قانعاً بالجهل . وقال : زكّ قلبك بالادب . كما تزكي النار بالحطب . وقال : من لم يكتسب بالادب مالاً . اكتسب به جمالا . وقال : الادب اكرم الجواهر طبيعة . [٣٣] يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغايب الجليلة . وينجح القصد والوسيلة . بالاداب يلحق الدني بذوي الاحساب . وقال : من قعد في حسبه نهض في ادبه . وقال من تأدب ولا حسب له الحقه ادبه بامثل الحسب . وقد يستغني بالادب عن الحسب . وقيل : الادب ينوب عن الحسب . ولا ينفع حسب بلا ادب .

تكلم رجل بين يدي المأمون فاحسن . فقال له المأمون من انت . فقال

ابن الادب . فقال : نعم النسب الذي انتسبت اليه . وهذا قيل المرء من حيث يثبت . لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد . وقيل من كثر ادبه . كثر شرفه . وان كان وضيعاً . وبعُد صيته وان كان خاملاً . وساد وان كان غريباً . وكثرت حوائج الناس اليه . وان كان فقيراً . وقيل : حسن الادب يستر قبح النسب . وقيل : الفضل بالعقل والادب . لا بالاصل والنسب . وقيل : المرء بابنايه لا بابايه . وبفضله لا بفضيلته . وبعقله لا بعقايده .

وصفًا قيل في البلاغة

اظهر ما غمض عن الخلق وتصوّر الباطل في صورة الحق . وقيل : ابلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه . وقالوا البلاغة اتصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ . وسئل بعضهم عن البيع . فاجاب الذي اذا قال اسرع . واذا اسرع ابدع . واذا ابدع حرك كل نفس بما اودع . وقالوا لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك . وقيل : البلاغة ما رضيته الخاصة . وفهمته[٣٤] العامة . قيل لاعرابي : هل عندكم في البادية طبيب . فقال : كلا . ان حمير الوحش لا تحتاج الى بيطار . وقيل لغيره : كيف حالك فقال : امزق ذنبي بالذنوب . وارقعه بالاستغفار .

وصفًا قيل في مدح العقل

سئل بعضهم ما حد العقل . فقال الوقوف عند الاشياء قولاً وفعلاً . وسئل آخر فقال : الاصابة بالظنون . والتلمح فيما قد كان وما يكون . اي التجربة . وقال العقل هو ادراك الاشياء على ما هي عليه من حقيقة معانيها . وصحة مبانيها . وقيل لغيره : ما مقدار العقل . فقال : ما لم يُرَ كاملاً في احد فلا يُعرف له قدر . وقالوا : لكل شيء غاية وحدّ . والعقل لا غاية له ولا حدّ . ولكن الناس يتفاوتون فيه كتفاوت الازهار في الرايحة والطيب . وقيل : العقل غريزة لا يقدر احد ان يضعها في نفسه ولا في غيره . ولا يُعرف الا بالاقوال والافعال الدالة عليه . ولا سبيل الاّ ان يوصف بجسم ولا لون . ولا طول ولا عرض . وقيل اربعة تدل على صحة العقل . حب العلم وحسن الحلم . وصحة الجواب وكثرة الصواب . وقالوا اذا اردت ان تعرف عقل الرجل في مجلس واحد . فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون . فان انكر فهو عاقل . وان صدق

فهو احمق . وقيل : لا تحد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه . ولا يسأل من يخاف منعه . ولا يعد بما لا يستطيع على انجازه . وقيل عقل بلا ادب فقر . وادب بلا عقل خنق .

قال لقمان لابنه

يا بني لا يتمّ عقل امرئ حتى يكون له عشرة خصال . ١ — يكون اكبر [٣٥] منه مأموناً . ٢ — والرشد فيه مأمولا . ٣ — وفضل ماله مبذولا . ٤ — ولا يصيب من الدنيا الاّ القوت . ٥ — التواضع احب اليه من الشرف . ٦ — والذل احب اليه من العز . ٧ — لا يسأم من طلب المعالي . ٨ — ولا يتبرم بطلب الخوايج اليه . ٩ — يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقله من نفسه . — ١٠ — وان يرى جميع الناس خيراً منه وانه شر منهم .

فهذه الخصال تشيد مجده . وتكبت ضده . وتعلّي قدره . وتطيب ذكره . وقالوا العاقل اذا ولى بذل في المودة نصره . واذا عادى رفع عن الظلم قدره . فيستعين موالية بعقله . ويعتصم معاديه بعدله . وربما احتاج ذو العقل والحلم الى اكتساب المودة والعلم . وقيل الادب صورة العقل . فحسّن صورة عقلك كيف شيت . وقالوا احرص ان لا يكون ادبك اغزر من عقلك . فان من زاد ادبه على عقله كان الراعي الضعيف في الغنم الكثيرة . وقيل يعجبني ان ارى لسانه زايد على عقله . وقيل زيادة العقل على اللسان فضيلة . وزيادة اللسان على العقل رذيلة . وقيل العقل اصل لكل محمود من الاخلاق . فاذا عدم الاصل فلا بقاء للفرع مع عدم الاصل . وقيل لبعضهم متى يكون العاقل عاقلاً . فقال اذا عقّله عقله عما لا ينبغي فهو عاقل . وقيل العقل ملك والخصال الحسنة رعية . فاذا ضعف عن القيام عليها . وصل الخلل اليها . فالعاقل من ذاد عن مراتع الهوى نفسه . وكفها عن شهوات تقرب رمسه . وقيل الهوى مركب ذميم يسير بك في معضلات [٣٦] الفتن . ومرتع وخيم يقعدك على مواطن المحن . وقيل من كان لعنان هواه املك . كان لطرق الرشاد اسلك . وقيل اعدل الناس من انصف عقله من هواه . ومنع نفسه مما يكون سبباً لبلواه . ولحظ الاشيا بعين فكره واضماره . فعلم من ورود الامر عاقبة اصداره . وقال بعضهم يصف انساناً بصيراً بالعواقب . فلان يعرف من مبادى الافعال خواتم الاعمال . ومن صدور الامور الحجاز ما في الصدور . وقال فلان يرى العواقب في مرآة فكره . فلا يشتبه عليه نفعه ولا ضره . قيل لبعض المجانين حل لك في الشراب . فقال العاقل يشرب الخمر

حتى يشبّه بي . فاذا اشربته انا ثمن دا اشبه . وقيل العاقل من اهتدى بمشورة نصحايه . وكشف لهم عن ستور اغراضه واخايه . وقيل من شاور الاحلاء آمن من كيد الاعداء . وقيل لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بنفعك . ولا جباناً فيخوفك . ولا حريصاً فيصدك . فان البخل . والجبن . والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله . وقيل ربما خطأ العاقل فيدعى الرضى . ويخطى عن مثل جمر الغضا . وقيل لبعضهم من اعقل الناس . قال من يجعل سمعه عرضاً لمحشاه . وكان الغالب عليه التغافل . وقال اشرف الكرم . عما تعلم . وقال التغافل من الكرام . يمنح الاجلال والاكرام . وقال من اسرع الى الناس بما يكرهونه . قالوا فيه ما لا يعلمونه . ومن علم ان فخر الدنيا يسير . حقّر من التقوى رداء للسير . ووصف احدهم الدنيا فقال . من [٣٧] نال منها مات فيها . ومن لم ينل منها مات عليها . وقال الدنيا تطلب لتطلب لسببه . للغنا وللعز وللراحة . فمن قنع استغنى . ومن زهد فيها عزّ . ومن قل سعيه استراح . وقال من جرعته الدنيا حلاوتها يميله اليها . جرعته الاخرى مرارتها بتجافيه عنها . وقيل عين الدهر تطرق بالمساوى . والخلايق ينار بين اجنانها . وقيل الدنيا بيت جُعل كل الشر فيه . وجعل مفتاحه الرغبة فيها . وقيل ان الدنيا لم تخلق لينظر اليها . بل انما خُلقت لينظرها الى الاخرة . قال ملك ما لحكيم ما وقد اعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه . فقال له الحكيم . سرور لولا انه غرور . وحسن لولا انه عدم . وملك لولا انه هلاك . وحيوة لولا انه موت . ونعيم لولا انه عذاب اليم . وقيل السكوت فيما يغنيك . شر الكلام فيما يضرك . والسكوت فيما لا يضرك . خير من الكلام فيما لا يعنيك . وقيل زلة الرجل تجبر . وزلة اللسان لا تبقى ولا تدر .

ومما قيل في ذم الجهل والجنون والحمق

قيل لبعضهم ما حدّ الحمق فقال لا حدّ له كالعقل . وقال الناس ثلاثة . مجنون ونصف مجنون . وعاقل . فاما المجنون فانت منه في راحة لترك الاختلاط به . واما النصف المجنون فانت معه في تعب لضرورة الاحتياج اليه . واما العاقل فقد كُفيت مؤنته . وقيل اذا اراد الله ان يزيل عن عبد نعمة كان اول ما يغير منه عقله . وقال الحمق داء دواؤه الموت . وقيل لو جاز لوم الاحمق على ان يعقل جاز لوم الاعمى على ان يبصر .

شعر

[٣٨] لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة اعيت من يداويها

قال الاصمعي لغلام اعرابي ايسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانك احمق . قال لا والله . قال له : ولمَ . قال اخاف ان يجني علي حمقي جناية يذهب مالي ويبقى حمقي . وقالوا مجالسة العاقل بالوثاق . خير من مجالسة الاحمق على السندس والاستبرق . قال لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذو جمال . فانه كالسيف حسن منظره . قبيح اثره . وقيل هجران الاحمق قربة الى الله تعالى . وقيل ان الاحمق صال مضل . ان اوئس تكبر . وان اوحش تكدر . وان استطلق تخلف . مجالسته تضر . وموالاته تغر . ومقارنته شقاء . ومفارقته شفاء . وقيل العاقل يضر عقله عند مجاورة الاحمق مثل الاحمق كالثوب الخلق اذ رفاته من موضع تخرق عن موضع اخر . وقال ان اردت ان تتهر عالماً فاحضر له جاهلاً . وقيل لا مصيبة اعظم من الجهل . ولا صاحب اجذل منه . وقيل الجهل موت الاحيا . وقيل الجهل في القلب كالاكلة في الجسد . وقيل العالم كبير وان كان صغيرًا . والجاهل صغير وان كان كبيرًا . وقيل الادب عند الجاهل كالماء في اصول الحنظل . كلّما ازداد رياً ازداد مرارة . وقيل الجاهل اذا تكلم فضحه غيّه . واذا سكت فضحه جهله . لا علم تغنيه يغنيه . ولا علم غيره ينفعه . ان قال لم يُحسن . وان قيل لم يستحسن . ذم اعرابي جاهلاً فقال : فلان ان اعرضت عنه اغتم . وان اقبلت عليه اغتر . وان حلمت عليه جهل عليك . وان جهلت عليه حلم عنك . وقيل [٣٩] الجاهل عدو نفسه . فكيف يكون صديق غيره . وقيل فلان خطاؤه بعد اجتهاده . وصوابه من غير اعتماده .

شعر

يصيب ولا يدري ويخطى وما درى وكيف يكون الترك الاّ كذلك

ومن علاماته الغضب في غير شيء . والكلام في غير نفع . وافشاء السر . والثقة بكل احد . ومن علاماته ايضاً العجلة . والخفة . والتواني . والضياع . والتفريط . والغفلة . والسهو . ان استغنى بطر . وان افتقر قنط . وان فرح امر . وان بكى جار . وان ضحك نهق . وان اعطيته كفرك . وان اعطاك منّ عليك . ومن علاماته ايضاً كثرة الالتفات . وسرعة الاجابة . وتحريك الراس اذا مشى . وقيل كم عاقل اخّره عقله . وجاهل صدره جهله . وقيل لا يزال

العاقل يشقى بعقله لصحة تفكيره . وحسن تدبيره . قال رجل لفيلسوف ما. تعال نتناظر في القدر . فقال وما اصنع بمسطرة . رأيت اشاعرة وستدلت به على الباطن . رأيت الاحمق مرزوقاً . والعاقل محروماً . فعلمت ان التدبير ليس من العباد . وقيل اعجب الاشيا نجح الجاهل . واكداء العاقل . حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهايم .

مما قيل في ذم اللسان المكثار

ان صاحبه لا يأمن آفة الزلل والعثار . قيل الاكثار يزل اللسان ويزيل الاحسان . ولا شيء اوضع للانسان من كثرة الكلام وقيل اذا كثر الكلام حتى ، واذا احتمل اعتل وقيل خير الكلام ما قل ودل ولم يطل فيسل وبلغ الناس من ترك الفضول . واقتصر [٤٠] على الايجاز . وقيل ليس البلاغة بحصة اللسان . ولا كثرة الهذيان . ولكنها اصابة المعنى . والقصد الى الحجة . وقيل خير الكلام ما كان من الحصر بعيداً . وللاسماع مفيداً . وهو ان يكون لا مايلاً الى الحصر فتضعف الحجة . ولا الى الهدر فيتلف المهجة . وقيل الكلام كالدواء . ان اقللت منه نفع . وان اكثرت منه صرع . وقيل قصر اذا قلت . واقتصر اذا اطلت . واياك والاكثار . فانه شين العاقل . وجبن الجاهل . وقيل العثار مع الاكثار . فمن ملك طول لسانه . اهلكه فضل بيانه . ومن طال لسانه. بعد احسانه . وقيل لان اربي عدوي بسهمي خير لي من ان ارميه بلساني . لان ربي اللسان لا يخطى . وربي السهم يخطى ويصيب . وقيل لسانك سيف قاطع بيديك . وكلامك سهم نافذ يرجع عليك . فاقتصر في المقال . واياك وما يوغر صدور الرجال . وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل . فاذا تكلم بها عاد اسيراً في وثاقها . وقيل من اطلق لسانه بكلما يجب . كان اكثر مقامه حيث لا يجب . وقال لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو اشد من الحجر . وانفذ من الابر . وامرّ من الصبر . واحرّ من الجمر . وان من القلوب مزارع فيها الكلمة الطيبة . فان لم يكن ينبت كلها ينبت بعضها . وقيل ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يقطع بها رقبة عنز فتبلغ امامه فتسفك دمه . وقيل حفظ اللسان . راحة الانسان . وطول اللسان . يقصر الاجل . وخطا القول يصيب المقتل . فمن اخزن لسانه حقن دمه . ومن ملك كلامه امن [٤١] ندمه . فاللسان سيف مرهف . لا ينبو حدّه. والكلام سهم مرسل لا يمكن ردّه . وقيل الجاهل مستعجل باظهار المعاني قبل احكامها . ولم يحن اوان تمامها . فاذا سددها

يخطى غرض الصواب . وقيل اذا كان الشؤم في شي ففي اللسان صمت يعقب الندامة . خير من نطق يسلب السلامة . فالصمت زين الحلم . وعودة العلم . يلزمك السلامة . ويصحبك الكرامة . ويكفيك مؤنة الاعتذار . ويكسبك ثوب الوقار . وقيل لسانك كالسبع . ان عقلته تركك . وان ارسلته اهلكك . احرز لسانك . كما تحرز مالك . واعرفه كما تعرف ولدك . وزنه كما تزن نفقتك . وانفق منه بقدر . وكن منه على حذر . فان انفاق الف درهم من غير وجهها . ايسر من اطلاق كلمة في غير حقها . فعليك بالصمت وان اصبت بالقول وبرزت في الفضل . فان الصمت زينة العاقل . وجميلة الفاضل .

ومما قيل في كتم الاسرار

اذا انتهى السر من الجنان . الى عذبة اللسان . فالاذاعة مستولية عليه . وعيون العواقب تطر اليه . وقيل القلوب اوعية الاسرار . والشفاه اقفالها . والالسن مفاتيحها . فليحفظ كل امرء مفتاح سره . وقيل سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك . فانك متى تكلمت به ارقته . وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها . وكذلك لا خير في لسان لا يملك سره . فكن على حفظ سرك احرص منك على حقن دمك فسرك اسيرك . وان بذلته كنت اسيره . اذا ضاق صدرك عن نجواك . فكيف يستكنه سواك . وقيل من كتم سره عن [٤٢] صديقه . مخافة ان تنتقل صداقته فيذيع سره . وقيل الكاتم سره بين احدى قضيتين . الظفر بحاجته . والسلامة من شر اذاعته . وقيل اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه . وقيل كتمان سرك يعقبك السلامة . وافشاه يعقبك الندامة . والصبر على كتمان السرائر . خير من الندامة على افشايها . وقيل ادنى خلايق الشريف كتمان سره . واعلى اخلاقه كتمان ما أسر اليه . فهذه كلمات صدرت من صدور صافية من كدر العقل وغشه . لكي يحذر بها العاقل من لذع الكلام ونهشه .

شعر

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى ... الى كل ما فيه عليك مقالُ

غيره

خصايص من تشاوره ثلاثـــة ... فخذ منهـــا جميعاً بالوثيقـــة
وداد خالص ووفور عقـــل ... ومعرفـــة بحالك في الحقيقـــة
فمن حصلت له هـــذه المعاني ... فتـــابع رايه والزم طريقـــه

وقيل

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعسري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثير همومها

وقيل

لا تيأسن من اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الاحمق
لعداوة من عاقل متحمل اولى واسلم من صداقة احمق

وقيل

[٤٣] كفى المرء نقصاً ان يقال بانه معم صباب وان كان واصلا

وقيل

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حدٌ وهذا له حدُ
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا على منهجي ان لا يفارقها الجهدُ
واي طبيب يستطيع بحيلةٍ يعالج من داءين ما منهما بدُ

وقال بعضهم يمدح قلّة العقل

من رزق الحمق فذو نعمة اثارها واضحة ظاهره
يحط ثقل الهمّ عن نفسه والفكر في الدنيا وفي الاخره

قيل في مدح الصمت

وصمتك من غير عي اللسان ازين من الهذر في المنطق

وقيل

ولا تكثرن فخير الكلام قليل الحروف كثير المعانِ

وقيل

ورب كلام قد جرى من ممازحٍ فساق اليه حتف سهم معجل
اذا ما لسان المرء اكثر هرجه فذاك لسان بالبلا موكل
فان شيت ان تحيي عزيزاً مسلماً فدبّر ومبّر ما تقول وتفعل

وقيل

احفظ لسانك واستعذ من شره ان اللسان هو العدو الكاشحُ

وزن الكلام اذا نطقت بمجلسٍ فيه يلوح لك الصواب اللائحُ
فالصمت من سعد السعود بمطلعٍ يحيى بـــه والنطق سعد ذابحُ

وقيل

[٤٤] وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي الرجال من السترر المنطقِ

وقيل

لا تود عن ولا الجماد سريرةً فمن الجوامـــد ما يشير وينطقُ
وادا اتاك اداغ سر اخ له وهو النضار فمن به يستوثقُ

وقيل في الجبون

مـــ استحرح لمثل تتل العصا لطالبيـــه من اني العصرِ
اليس قـــد اخرج موسى بهـــا لقومـــه الماء من الصخرِ

وقيل

المـــال في الغربـــة اوطـــان والفقر في الاوطـــان احزان

(يتبع)